مجلة كلية الآداب

دورية محكمة، نصف سنوية
تصدر عن كلية الآداب، جامعة طرابلس

العدد التاسع والعشرون
يونيو 2017م

جميع الحقوق محفوظة للجامعة
لا يسمح بإعادة إصدار هذه المجلة أو تخزينها في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها أو استنساخها بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All Rights Reserved. No Part of this Journal may be repro duced or transmitted in any form or by any means electronic or mechanical including photocopying re cording or by any information storage retrieva system .without the prior permission in writing of the publisher

المراسلات
مجلة كلية الآداب – جامعة طرابلس– ص ب –99100 طرابلس –ليبيا
فاكس : 4623339–21–fax 00218

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير

د. مختار محمد العماري

مدير التحرير

د. محمد عمر بن حسين

أعضاء هيئة التحرير

د. الطيب أبو خريص الشيباني د. ربيعة عبد السلام هندر

المراجع اللغوي

د. كامل علي أبو عاصي

تصميم وإخراج

د. محمد عمر بن حسين

قواعد النشر بمجلة كلية الآداب

تهدف المجلة إلى الإسهام في الحركة الفكرية والثقافية في المجتمع العربي، وتطويرها وتنميتها، من خلال نشر البحوث والدراسات العلمية في مجال العلوم الإنسانية، ونشر مستخلصات الكتب، ومراجعتها، وعرض الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه) التي يقدمها الباحثون والدارسون داخل ليبيا وخارجها.

وتحرص هيئة تحرير المجلة على على أن تكون البحوث والدراسات المقدمة للنشر بها ملتزمة بقواعد النشر العلمي، وتوجه عناية الباحثين إلى الآتي:

1- يجب ألا تكون البحوث والدراسات المقدمة قد سبق نشرها أو قدمت للنشر في مكان آخر.

2- يشترط ألا يزيد عدد صفحات البحث عن 25 صفحة، ويقدم مطبوعًا في قرص ليزري (CD)، وعلى نسختين ورقيتين، وتترك مسافة (2.5سم) في هوامش الصفحة الأربعة، ويكتب بخط (Traditional Arabic)، بحجم 14 للمتن، وحجم 10 للهامش، ويكون إدراج الهوامش إلكترونيًّا.

3- اللغة العربية هي اللغة الأساسية للمجلة، وتقبل البحوث والدراسات المكتوبة بلغة أجنبية (انجليزية أو فرنسية حاليًّا)، إذا كانت تشكل جزءًا من اهتمامات المجلة، على أن تكون مقرونة بملخصات باللغة العربية، ويستحسن كذلك أن ترفق الأبحاث باللغة العربية بملخصات باللغة الإنجليزية.

4- إذا كان البحث قدم في مؤتمر علمي لم تنشر أعماله ، فإنه ينبغي الإشارة في أسفل صفحة العنوان إلى اسم المؤتمر ومكان انعقاده وتاريخه.

5- تخضع جميع الدراسات والبحوث المقدمة للنشر لمراجعات علمية وتحكيم

من متخصصين، ويبلغ أصحابها بالموافقة على النشر من عدمه، وفي الحالة الثانية المجلة غير ملزمة بإرجاع البحوث غير المقبولة للنشر إلى أصحابها.

6- لا تعبّر البحوث والدراسات والمقالات المقدمة للنشر بالمجلة إلا عن رأي أصحابها، ولا تعكس رأي المجلة وأعضاء تحريرها .

7- يحق لأصحاب البحوث و الدراسات المقدمة للمجلة الحصول على نسختين من العدد الذي تنشر فيه بحوثهم ودراساتهم .

8- لا ترى المجلة مانعًا من نشر الإعلانات التي لها علاقة بالمجالات العلمية والمؤتمرات والندوات و الأنشطة الأكاديمية، سواء في الداخل أم في الخارج.

9- لا تتولى المجلة نشر البحوث والدراسات التي لا تتعلق بمجالاتها وتخصصها.

فهرس المحتويات

الافتتاحية

هيئة التحرير 9

1- **خطر العاميات على الفصحى**

د. ربيعة عبد السلام هندر 10

2- **الدليل في التحليل الإعرابي**

د. صلاح الحجاجي مروان 26

3- **الكاف بين الإفراد والتركيب ، أحكامها ، ومعانيها**

أ. لطفي الفيتوري العالم 54

4- **الشعر العربي بين الاستشهاد والاستئناس**

د. فاطمة محمد الأزهري 87

5- **المعيار الإحصائي في الأسلوبية**

د. هاجر محمد الجويلي 111

6- **أصول دعوة سيدنا نوح عليـه السلام كما جاءت في القرآن الكريم**

د. عبدالحميد مختار الضبع 148

7- **بيع المنافع المجردة**

د. مختار بشير العالم 168

8- **خيار البيع وأحكامه الشرعية**

د. الهادي المبروك سالم 195

9- **زكاة الحُلي في الذهب والفضة**
د. محمد فرج عثمان 220

10- **الصبر في القرآن، دراسة في فكر ابن القيم**
د. إبراهيم عبد الله سلطان 250

11- **مفهوم المعرفة في الشريعة الإسلامية**
د. رمضان المبروك محمد 281

12- **الإسلام وانتشار الحضارة في البحر الأبيض المتوسط، أ.د. بدرو مارتينث مونتابث**
ترجمة أ.د. عبد الله الزيات 298

13- **انتشار دعوة الإسلام في السودان الغربي طرقه ووسائله**
امحمد أبو القاسم محمد المزوغي 322

14- **مقارنة مستوى الصلابة النفسية لدى معلمي المرحلة الابتدائية، الاعدادية، الثانوية**
د. ابتسام عمر النويري، أ. أمنة عبدالسلام المزوغي 339

15- **دور تكنولوجيا الوسائط المتعددة في رفع كفاءة وتطوير العملية التعليمية**
أ. خالد خليفة عمر الكميعي، أ. عادل الهادي سعد 388

16- **الصعوبات التي تواجه البحث العلمي في العلوم الاجتماعية**
د. منصور عمارة محمد الطيف 413

17- **المشاركة الشعبية في تنظيم المجتمع وعلاقتها بتنمية المجتمع المحلي**
د. مها عبد الحميد الورفلي 436

الافتتاحية

الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه من سائر الأمم.

أما بعد؛ فيطيب لنا أن نقدم العدد التاسع والعشرين من مجلة كلية الآداب، بجامعة طرابلس، للقراء الكرام، ساعين من خلاله إلى تحقيق أهدافها المنشودة، حريصين على أن نقدم الجديد والمفيد في مجال الحركة الفكرية والثقافية.

تضمن هذا العدد بحوثًا متنوعة لباحثين ودراسين من عدة مؤسسات علمية من داخل ليبيا، شكلت أطيافًا متنوعة من المعارف، وعالجت قضايا مختلفة، في الدراسات اللغوية، والإسلامية، والتاريخية، والفلسفية، والتربوية والاجتماعية.

ومن الواجب علينا أن نقدم الشكر الجزيل لأصحابها الذين أتحفوا هذا المجلة بخلاصة نتاجهم العلمي، واختاروها نافذة يطل القارئ من خلالها على ما قدموا وأسهموا به في مجال المعرفة والثقافة، ولا يفوتنا أن ندعو كل الباحثين، أينما كانوا، إلى أن يسهموا بأعمالهم العلمية في دفع عجلة هذه المجلة، والإسهام في استمرار صدروها.

هيئة التحرير

انتشار دعوة الإسلام في السودان الغربي، طرقه ووسائله

احمد أبو القاسم المزوغي

كلية الآداب، جامعة طرابلس

دخل الإسلام أفريقيا منذ البدايات الأولى للدعوة الإسلامية وتحديدًا في العهد المكي حيث أمر النبي ﷺ أتباعه بالهجرة إلى الحبشة فرارًا بدينهم من بطش مشركي مكة؛ حينها بدأت محطات التماس بين الإسلام وإفريقيا، والتي لم يكن يدرك عنها العالم حينها شيئًا سوى أخبار قليلة عن شواطئها الشرقية نظرًا لحركة التجارة التي نشط فيها اليمنيون والفرس منذ أزمنة بعيدة.

هذا على أن بداية التماس الحقيقي والرسمي للإسلام بهذه القارة تأخر إلى سنة 20هـ حين توجهت جيوش المسلمين في عهد عمر بن الخطاب لفتح مصر، ومن ثم أنساب الإسلام غربًا فاتحًا بلاد المغرب التي مهّدت لتخطي الإسلام الجوار الإفريقي إلى البلاد الأوروبية حين فتح المسلمون الأندلس سنة 92هـ.

حينها بدأت حركة الإسلام تشتد بشكل متزايد، ولما أتمت حركة الفتح مسح مناطق الشمال توجهت نحو مجاهل أفريقيا في الجنوب لإتمام دعوة

القبائل البربرية للإسلام، حينها اقترب الإسلام كثيرًا من مناطق السودان الغربي جنوب الصحراء.

وتعدّدت أراء المؤرخين في تحديد تاريخ أول دخول للإسلام إلى تلك الربوع في فترة ما قبل القرن الرابع الهجري، الذي يمكن الجزم فيها من خلال تواتر الروايات التاريخية أن الإسلام كان معروفًا فيه في مناطق السودان الغربي بل إن البكري الجغرافي المعروف أشار إلى قوم في مملكة غانا يسمون بالهنيهين وذكر أنهم من ذرية الجيش الذي سُيرته الدولة الإسلامية في العهد الأموي إلى غانا في صدر الإسلام[1]، إن لم يكن بالإمكان الجزم بصحة هذه النسبة نظرًا لعدم تواتر روايات تاريخية أخرى تُسند ذلك إلا أن بعض الروايات تتحدث عن اقتراب واحتكاك لجيل الفاتحين الأول بأراضي وشعوب السودان الغربي، منها ما ورد في كتب التاريخ من أن عقبة بن نافع[2]وصل بفتوحاته في بلاد المغرب «إلى ولاّته ومزاته فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم ثانية، وقتل وسبى ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين غدامس من تخوم السودان، وفي السنة التي بعدها أفتتح ودان وكوار من كور السودان وأثخن في تلك النواحي، وكان له فيها جهاد وفتوح»[3].

وعلى أية حال فإن دولة الإسلام بدأت بالتوسع في منطقة السودان الغربي في القرنين الرابع والخامس للهجرة – العاشر والحادي عشر الميلاد – وما

(1) البكري، أبو عبيد، المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، (د ط)، (د ت)، ص 179.

(2) عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري، كان عمرو بن العاص وهو أمير على مصر قد استعمله على أفريقيا فانتهى إلى لواتة وبعض بلاد السودان، يعود إليه الفضل في فتح عموم بلاد المغرب، وهو من اختط مدينة القيروان، استشهد سنة 64ه. ينظر: مؤنس، حسين، المغرب والأندلس، القاهرة، دار الرشيد، 1992م، ص 38 – 46، زاهر رياض، شمال أفريقيا في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1981م، ص 20 – 23.

(3) الناصري أبو العباس أحمد، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر وأحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ج1، 1997، ص 134.

قبلها، وكانت سبل تسرّب الإسلام وتغلغله عديدة ومتنوعة، تضارفت لتظهر صورة من صور انتشار الإسلام قد تختلف عن العديد من الصور التي شهدها تاريخ الدعوة الإسلامية في المناطق الأخرى، هذا الاختلاف يكمن في كون الدعوة الإسلامية في السودان الغربي قد جمعت بين كل تلك الطرق التي انتشر بها الإسلام في أماكن التي وصل إليها؛ والتي لم تجتمع مع بعضها إلا نادرًا.

وعليه قُسم هذا البحث ليناقش هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

أولًا- الحملات العسكرية وأثرها في نشر الإسلام:

يقصد بحركة الفتح في هذا المقام ما شهدته بلاد السودان الغربي من حملات عسكرية هدفت أول ما هدفت إلى الدعوة للدين الإسلامي وتعريف القبائل الوثنية به، وهي حملات شهدتها المنطقة بعد تأسّس الممالك الإسلامية التي اعتبرت نشر الإسلام رسالتها الحضارية في تلك الأزمنة، ولعل أشهر تلك الممالك مملكة غانا وسنغاي وسكوتو وغيرها من الممالك التي قامت في السودان الغربي على يد الأفارقة أنفسهم، إذ لا يمكن إغفال ما قامت به هذه الممالك من دور في نشر الإسلام في المناطق التي دخلت في حماها، وقد جمعت روح الدعوة ومحاولات تأمين المناطق الجديدة بين جهود تلك الدول التي كانت تسعى من خلال نشر الإسلام إلى تحقيق أعلى نسبة من الاستقرار السياسي والاجتماعي لبناها الجديدة.

وتبرز في هذا المقام قضية الفتح العسكري للسودان الغربي من طرف دولة المرابطين[1] التي ظهرت إلى الوجود في تلك المنطقة، حيث أورد المؤرِخون مسألة الفتح المرابطي للسوادن الغربي، مبتدئين بالحديث عن فتحهم لأودغست حين أَحسّ عبد الله بن ياسين بالخطر منها على دولته الناشئة، وقد كانت تحكم

(1) عنان، محمد عبدالله، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1990، ص 38.

من طرف قبيلتة لمتونة[1] لكن بعد استشهاد ابن تيفاوت حدثت الفرقة بين العرب والبربر في أودغست مما سهّل على مملكة غانا السيطرة عليها[2] لذلك كان عبد الله يرى فيها خطر على نشاطه المتصاعد مما دعاه إلى ضمها سنة 1054م على يد قائده يحي بن عمر.

وبهذا أعلن الداعية عبد الله بن ياسين الحرب على مملكة غانا الوثنية عام 1056م بدافع الجهاد ضد الوثنية ونشر الإسلام، وما لبث أن انضمّت القبائل التي دخلت على يده الإسلام إلى جيشه وواصل تلاميذه المهمة من بعده ففتحوا عاصمة غانا كومبي عام 1076هـ، ثم انسحبوا تاركين الحكم في أيدي الحكام السابقين بعد ما استمر حكمهم خمسة عشر سنة فقط ترك المسلمون فيها أثرًا طيبًا في قلوب الناس مما سهل دخولهم للإسلام[3] كما أوردوا أنه كان للمرابطين حملة ثانية على يد الأمير أبو بكر بن عمر الذي ترك الولاية في يد يوسف بن تاشفين، وتوجه إلى الجنوب، ولم تذكر المصادر أين اتجه تحديدًا سوى ما ذكرته أنه استولى على مسيرة ثلاثة أشهر من بلاد السودان أخضعها لحكم المرابطين ونشر الإسلام، وواصل أبو بكر[4] فتوحاته حتى وصل إلى بلاد نقارة حيث

(1) قبيلة من قبائل الملثمين الذين يعرفون حاليًا بالطوارق كان لها الفضل هي وجدالة ومسوفة في تأسيس دولة المرابطين التي وحدت السودان الغربي والمغرب والأندلس في دولة واحدة، اشتهرت هذه القبيلة بالجلد والشدة ومكابدة ظروف الصحراء، وهي فرع من فروع صنهاجة، ينظر: ابن خلدون، عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، 1992، ص 165 – 175.

(2) البكري، المصدر السابق، ص 98 – 168.

(3) مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تونس، دار المنار، 1913، ص 141.

(4) يورد المؤرخين حادث وفاته وهو أنه حين أستشهد أبوبكر بضرب سهم سموم من طرف أحد قبائل الموسى؛ وهي حادث ساهمت بشكل كبير في نشر الإسلام حين ثارت القبائل السودانية التي دخلت الإسلام على يده للثأر له والمطالبة بدعه، واندلعت العرب بينها و بين قبائل الموسى، ولم تلبث القبائل الوثنية المتحالفة مع القبائل المسلمة أن دخلت الإسلام جماعات كرد فعل على حادثة الاغتيال. ينظر: دندش، عصمت عبداللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988، ص115.

مناجم الذهب[1].

ثانيًا- النشاط التجاري ودوره في نشر الإسلام:

أتسم تاريخ الدعوة للإسلام بسمات ميزته مقارنة بما عرفته الأديان في حركة انتشارها وامتدادها، ولعل من أبرز تلك السمات والميزات ما عمدت إليه الدعوة الإسلامية من ركوب قوافل التجارة المتنقلة، وهي ظاهرة في التاريخ لعبت دورًا بارزًا في تعريف الأمم والشعوب بتعاليم الإسلام. فقد كان التجار والباعة المسلمون المتنقلون يجسّدون صورة ذلك المسلم الأمين ذي المبادئ السامية، والشخصية البارزة التي تفعل فعلها في المتعاملين معه.

وهي الصورة التي جسدها دخول الإسلام إلى بلاد السودان إذ لم يقل دور التجار عن غيرهم في نشر الإسلام في تلك الربوع عن غيرهم من المسلمين الذين وفدوا إلى تلك البلدان، فقد كانوا يمارسون تباعًا مع تجارتهم أخلاقهم وسلوكياتهم وتعاليم دينهم التي كانت تلفت انتباه الوثنين الذين لم يلمسوا أي تهديد لبناهم الاجتماعية من طرف ديانة هؤلاء التجار، وزادت تعاليم الإسلام في تنمية الشعور بالوحدة الإنسانية، وعدم التفرقة بين الأجناس والألوان في دمج هؤلاء التجار في البيئات الأفريقية، كما لعبت آلية الزواج من بنات زبائنهم الأرواحيين دورًا في اندماجهم مما سهّل على هؤلاء الأرواحيين الوثنين التعرف على الإسلام ثم الدخول فيه[2].

وقد تواترت الأخبار والحقائق بشكل قل أن يُغفّل عنه في أي كتاب تعرض لتاريخ تلك المناطق، ولتاريخ الثقافة العربية الإسلامية فيها، يشير محمد بللو

(1) الناصري، الاستقصاء، ج1، ص162.

(2) سيلا، عبدالقادر محمد، المسلمون في السنغال، قطر، سلسلة كتاب الأمة، 1986م؛ عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، القاهرة، مطبعة اليوسف، 1960م، ص62؛ عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، القاهرة، مطبعة اليوسف، 1960، ص 120.

صاحب كتاب «إنفاق الميسور»، إلى هذه الحقيقة مشيرًا إلى أن الإسلام دخل بلاد الهوسا عن طريق التجار[1] وهي الحقيقة التي لم يستطيع حتى المؤرخون الغربيون ردّها، ولا الالتفاف حولها كعادتهم في مثل هذه المسائل، وما أورده توماس أرنولد وترمنجهام وغيرهما؛ خير دليل على ذلك إذ يرى الأخير أن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير بطرق التجارة الموصلة بين المغرب وبلاد السودان عبر الصحراء الكبرى، أو على طول ساحل المحيط الأطلسي فقد قامت هذه الطرق بدور جليل في نشر الإسلام في بلاد السنغال وأعالي النيجر ومنطقة بحيرة تشاد[2].

وقد كانت هذه التجارة تنشط بين الشمال الأفريقي المسلم[3] وبلاد السودان– ما وراء الصحراء – التي لم يكن الإسلام قد دخلها بعد، وقد راحت تلك القوافل تتوغل في غرب أفريقيا عبر الصحراء بعد أن كانت مقتصر على الساحل لم يكن هذا فحسب بل أقام البربر مراكز تجارية ثقافية ثابتة في مدنهم وأنشاؤا مدنًا، وممالك وسيطة، للتجارة مثل مملكة أودغست، مع توفير الحماية الكاملة للقوافل، وأداء الخدمات اللازمة، واشتهرت قبيلة صنهاجة في مجال التجارة.

والتي أقامت جسرًا عبر الصحراء وصل بلاد السودان بالحضارة الإسلامية في بلاد المغرب[4]، وقد كان لانتشار الإسلام في الصحراء الكبرى دور في

(1) بللو، محمد، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق: بهجة الشاذلي، دار المعارف الجديدة، 1996م، ص56.

(2) محمود، حسن، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، القاهرة، دار الفكر العربي، ط 3، 1986 م، ص 55.

(3) بولم دنيس، الحضارات الأفريقية، ترجمة: علي شاهين، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، 1974 م، ص 39.

(4) الظاهر، حسن عيسى، الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولاني، الرياض، منشورات جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية 1981م، ص 790.

تنشيط حركة التجارة بين الشمال والجنوب نظرًا لما فرضه من أمن وهدوء في تلك المناطق.

يورد ليون الإفريقي الذي زار مناطق السودان الغربي في القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي - على أن التجارة مع بلاد السودان فتحت نشاطا اقتصاديًا قويًا في بلدان شمال أفريقيا التي مثلث في تلك الحقبة مركز مهمًا تنقل منها المنتوجات الاستوائية كالذهب وريش النعام والقطن والفول السوداني والزبد والكولا والرقيق إلى أوروبا، وتنقل عبرها في المقابل المنتوجات الأوروبية إلى أدغال وأواسط بلاد السودان[1].

ولعل ما يمكن ملاحظته بجلاء في تاريخ غرب أفريقيا هي تلك المكانة الثقافية والريادية التي احتلتها المدن التي كانت تشكل نقاط عبور وتجمع لقوافل التجارة القادمة من الشمال والمتّجه إليه كمدينة تمبكتو وجنى وأودغست وغيرهم من المدن التي مثّلت في تاريخ المنطقة مراكز لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية، وهي المكانة التي تدين بها لحركة التجارة التي كانت تجلب معها أعراف المسلمين وثقافتهم وآدابهم إضافة إلى كون العديد من التجار كانوا من ذوي الثقافة العالية التي فرضت عليهم الاستقرار في تلك المناطق وحمل واجب الدعوة للإسلام ونشر العلم والثقافة، وتأسيس المدارس والمساجد في تلك الربوع[2]، وهو أمر لم تخلُ منه مدينة افريقية على ما أورده ليون الإفريقي الذي ذكر «أنه كان لكل مدينة سودانية مغاربة مغتربون منهكون في التجارة»[3]، ولعل ما أورده ابن خلدون في تاريخه عن حجم القوافل التجارية التي كانت

(1) الأفريقي ليون، (الحسن بن محمد الوزان) وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي ج2، ط2، 1983 م، ص 164 – 170.

(2) أرنولد، توماس الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1970، ص 359.

(3) ليون الأفريقي، المصدر السابق، ج2، ص 163 – 171.

تتجه نحو السودان الغربي يكشف ضخامة القوافل التجارية التي كان يقودها المسلمون من الشمال الأفريقي فقد ذكر أن القوافل التجارية التي كانت تمر على أيامه بالحفّار باثني عشر ألف جمل يوميًا في أحيان كثيرة[1] وهو ما يسّر به طريق واحد فقط من طرق التجارة بين الشمال والجنوب من حركة بشرية[2] وهو يدل على ضخامة التواصل البشري بين طرفي الصحراء الكبرى مما يعكس التدفق الثقافي الهائل الذي كان يصحب هذا النشاط التجاري.

على أن هذا النشاط التجاري ودوره في نشر الإسلام وتعاليمه بين القبائل الوثنية بالسودان الغربي لم يقتصر على تجار الشمال المسلم فقط في فترة انتشار الإسلام هناك، بل سرعان ما أنتقل هذا النشاط الدعوى الممزوج بالعمل التجاري إلى المسلمين الجدد من الأفارقة الأصليين الذين تحمّسوا لنشر دينهم الجديد بعد ما لمسوا تأثيره القوي في شؤون حياتهم ومعاشاهم، ولعل من أشهر هذه القبائل التي حملت على عاتقها أمر نشر الإسلام هي قبيلة الماندينغ المسلمة، والتي أنشئت بفضل الإسلام مملكة مالي الكبرى، وقد مدّت هذه القبيلة نشاطها التجاري في السودان الغربي، وأسّست العديد من المراكز التجارية التي كانت لعبت دورًا مهمًا في نشر الإسلام[3].

وتنتشر في السودان الغربي تسمية (جولا) التي يقصد بها تلك المجموعة من الماندينغ التي تمارس التجارة المتنقلة، وتعمل في الوقت نفسه على التعريف بالإسلام ونشره، ولفظ (جولا) يعود لتسمية بإحدى بطون قبيلة الماندينغ وهي (الديولا) التي اشتهرت بالحماس للإسلام، وكانت تمارس التجارة في الوقت

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 52؛ الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية الزاوية، مطابع الوحدة العربية، ط2، 1999 م، ص 41.

(2) ليون الأفريقي، المصدر السابق، ج2، ص 163 – 171؛ الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا جنوب الصحراء، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1992، ص 312 – 317.

(3) ليون الأفريقي، المصدر السابق، ج2، ص 164.

نفسه[1] والملفت للانتباه في القرون المتأخرة أن دور التجار في نشر الإسلام والدعوة إليه لم يخفت بانتشار وسائل الإعلام، وانفتاح قبائل وشعوب السودان الغربي على العالم؛ بل استمر دور التجارة في نشر الإسلام في ربوع أفريقيا حتى القرن الثامن عشر والتاسع عشر فقد أعتنق أهل بورتو توقو – عاصمة بنين – الإسلام على يد تّجار من قبائل اليوربا القادمين من إيلورين بنجيريا كما اعتنق أغلب مسلمين غانا الإسلام في القرن التاسع عشر حين أنشأ تجار مسلمون من مالي مستعمرة صغيرة في سكوتو، وانهالت قوافل التجار تقصدها من كل قبائل وممالك السودان الغربي مما سرّب الإسلام معهم إلى القبائل المجاورة، وإلى تلك التي كانت تمرّ عليها طرق القوافل[2].

ثالثًا- الهجرة وفاعليتها في نشر الإسلام:

مثّلت الهجرة الفردية والجماعية على حد سواء رافد من روافد التمدد الإسلامي في السودان الغربي نظرًا لما أدخلته الهجرة لتلك المجتمعات من دماء وأعراق جديدة، وما يتبع ذلك من أنماط ثقافية ودينية جديدة أيضًا، ويعود تاريخ هجرات أهل الشمال الأفريقي إلى ما وراء الصحراء إلى قرون متقدمة جدًا، ولعل هجرة العائلات من الشمال الأفريقي التي كان لها فضل تأسيس حضارة ومملكة غانا تقف دليلًا على قدم هذه العائلات في السودان الغربي واختلاف المؤرخين في أصولهم التي ترجع إلى الشمال الأفريقي وبين كونها مشرقية[3].

وقد تكرّست هذه الهجرات في العصور الإسلامية حين تم فتح بلاد المغرب الإسلامي، وبدأت الرحلات العربية الإسلامية تتجه صوب الفضاء الإسلامي

(1) سيلا عبدالقادر محمد، المرجع السابق، ص 68.

(2) زكي عبدالرحمن، المرجع السابق، ص 129.

(3) الدالي، الهادي مبروك، مملكة غانا الإسلامية، ص 15 – 16.

الجديد في كل من المغرب والأندلس حينها قدمت العديد من القبائل العربية إلى بلاد المغرب الذي كانت تسوده قبائل البربر، ولعل أشهر تلك الرحلات؛ تلك التي قامت بها قبائل بنو سليم وبنو هلال من مضاربها في المشرق إلى المغرب مرورًا بمصر وليبيا، وهي هجرات كان لها أثر لا محدود في تغيير البنى الاجتماعية والاقتصادية والعرقية في بلاد المغرب، وهو الأمر الذي ولّد حالة من اللاستقرار، عصفت سنين طويلة بالمنطقة مما عمل على زحزحة العديد من قبائل البربر كزناتة وغيرها من التجمعات القبلية الأخرى التي وجدت نفسها مضطرة للزحف جنوبًا بحثًا عن مواطن أمنة، وابتعادًا عن مناطق بني هلال[1] وقد تواصلت هذه الهجرات حتى وصلت – كما يرى ترمنجهام – بلاد دارفور إذ أن شعب الطنجور الذي كان له شأن في نشر الإسلام في دارفور، وما جاورها يمّثل إحدى القبائل البربرية التي أعقبت دخول الهلاليين[2].

وقد لعبت هذه القبائل البربرية المسلمة دورًا تاريخيًا فعالًا في نشر ثقافتها وديانتها بين الوثنين التي استوطنت بينهم كما كان لها الدور البارز في تغيير وتطوير نمط الحياة الإفريقية حيث نقلت لها سبل العيش المتطورة التي كانت تعيش وفقها في الشمال مما سمح لهذه القبائل من بسط نفوذها الثقافي والديني والسياسي في كثير من الأحيان على العديد من المناطق.

ويشير البكري إلى هذا التواجد المسلم في السودان الغربي في معرض حديثة عن تلك المنطقة، فقد ذكر أنه وجد قبائل مسلمة تقيم في تلك الربوع وبها قبائل بربرية مسلمة سكنت رأس الماء – في وسط دلتا النيجر – يسمون مداسة، وفي الجهة المقابلة لهم من الشاطئ الثاني سكن بربر من السودان[3]

(1) الدالي الهادي مبروك، مملكة غانا الإسلامية، ص 15 – 16.

(2) مؤنس حسين، المغرب والأندلس، القاهرة، دار الرشيد، 1992، ص 177.

(3) محمود، حسن، المرجع السابق، ص 61.

وينسب البكري هذه القبيلة إلى صنهاجة، وهذا الخبر يؤكده صاحب كتاب الاستبصار والذي عاش في القرن السادس الهجري حيث يقول: «فإذا سرت من غانة تريدها -تادمكة- فأول ما تلقى مدينة سجنجوا، وهي على ثلاثة مراحل من غانا، وهي على النيل – نهر النيجر وهي أخر عمل غانة إلى الجنوب. ثم يصب النيل في مدينة بوغرات، وتسكنها قبيلة من ضنهاجة تعرف بمراسة -مداسة- [1] وينظمّ الإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق» إلى المثبتين لهذا التواجد المكثف للقبائل البربرية المسلمة في السودان الغربي منذ العهود الإسلامية الأولى فيها؛ إذ كتب يقول بأن مداسة هي مدينة متوسّطة تقع على الشاطئ الشمالي للنيل، وتحيط بها مناطق زراعية شاسعة، ويتغذّى أهلها بالأرز والذرة، ويعيشون بشكل أساسي على صدر الأسماك وتجارة الذهب، وفي أهلها معرفة- أي أنهم على معرفة جيدة بالإسلام – وإلى الشمال من مداسة يترحّل بربر بغامة السود[2].

وكما كان للهجرات الجماعية دورًا في تثبيت الإسلام في تلك المناطق، فقد كان للهجرات الفردية أيضًا دورًا بارزًا في هذه العملية، ولعلنا لن نحيد عن الصواب لو رجّحنا هذا النوع من الهجرات في نشر الإسلام على الهجرات الجماعية نظرًا لما يصحب ظروف الهجرات الجماعية من رفض ونفور من طرف القبائل الأصلية للقبائل الوافدة، واحتمالات التصادم، وهي حقائق ثابتة في تاريخ تلك المناطق؛ وبالتالي يضعف أثرها، وتتضاءل فرص التثاقف والاستمداد الحضاري، نظرًا لحالة العداء التي تستحكم بين القبائل الأصلية والقبائل الوافدة، بينما تبقى الهجرات الفردية بمنأى عن هذا التناوش إذ لا يشكل قدوم فرد أو مجموعة صغيرة من الأفراد خطرًا على أي مكون اجتماعي بل العكس فقد يستقبل هؤلاء الأفراد نظرًا للفائدة التي ستترتب عن وجودهم بين

(1) البكري، المصدر السابق، ص 164.

(2) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبدالحميد، الإسكندرية، دار الكتاب المصري، 1958، ص 223.

ظهرانيها، خصوصًا إذا علمنا أن أغلب المهاجرين المسلمين كانوا من الطبقة المثقفة التي تحسن القراءة والكتابة وتحسن تصريف شؤون الحياة، وهي الأشياء التي كانت تفتقدها القبائل الأفريقية التي عانت قرونًا من الانغلاق والعزلة. فابن بطوطة يورد في رحلته أن الطبيب الذي عالجه حين إقامته في مملكة مالي كان مصريًا[1]، وهو ما يعطي صورة عن شكل الطبقة المهاجرة التي استقرت في تلك المناطق مما يعطي انطباعًا عن مكانتهم في المجتمعات المستقبلة، وبالتالي يكشف عن الدور الذي كانت تلعبه في التعريف بالإسلام والدعوة إليه.

وتورد الروايات التاريخية المعتمدة أن الإسلام ثبت في كانم بين عامي 466-476 هـ/1075-1085م، في عهد الملك حوماي جلمي Houmay Djelemi وقد كان ذلك على يد محمد بن مانع الذي عاش خمس سنوات في أيام بولو، وست سنوات في أيام أرقان، وأربع سنوات في حكم قادان خوامي، وأربع عشرة سنة في حكم أمه، وأخذ الإسلام بالانتشار بعد أقل من سنتين من حلوله بتلك المنطقة، ولاقى – الإسلام- اعترافا عامًا، وكان محمد بن مانع قد وصل إلى كانم مهاجرًا سنة 421هـ-1030م، وعاش خمس وخمسين عامًا إلى أن حقق هدفه في إدخال البلاد للإسلام[2] وهي حالة تعطي صورة واضحة المعالم عن الدور الذي لعبته الهجرة الفردية في تاريخ انتشار الإسلام.

وعلى أية حال فقد استقبلت غانا وغيرها من مدن السودان الغربي العديد من العناصر الإسلامية التي قدمت من بلاد المغرب، وقد أعان على ذلك موقف السلطة الحاكمة من الإسلام والمسلمين، فالملك الغاني بسي الذي توفى عام 455 هـ/1096م وبالرغم من كونه وثنيًا، كان محمود السيرة محبًا للعدل موثرًا للمسلمين أما خليفته في الحكم ابن أخته تنكامنين فقد اعتمد على المسلمين

(1) الإدريسي، أبو عبدالله الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ج1، 1994م، ص 25.

(2) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تعليق: طلال حرب، بيروت، دار الكتب العلمية، (د ت) ص 691.

الوافدين إليه في إدارة شؤون الحكم فكان منهم مترجموه وصاحب بيت المال، وأكثروا وزرائه نظرًا لما كان يتمتع به هؤلاء من ثقافة عالية وإطلاع على أنماط الدول والحياة الحديثة[1].

وقد أنعكس هذا التقبّل الرسمي لهذه الطبقة المسلمة على سلوك المجتمع الغاني الذي لم تختلف نظرته للمهاجرين المسلمين عن نظرة حكامه، وما يورد عن عاصمة غانا وأوضاع المسلمين فيها يعطي شهادة حية على مدى التقبل الذي لقيه المسلمون في هذه المجتمعات الأمر شجعهم على التوافد المستمر إلى تلك الدولة.[2]

ومن الواجب الإشارة في هذا المقام إلى كون الهجرة بين الشمال والجنوب ليست وليدة القرن الخامس الهجري، والظروف التي تم الإشارة إليها إذ تعود في حقيقتها إلى القرون الهجرية الأولى فقد ثبت أن مدينة جاو قد استقبلت وفودًا رسمية زمن الإمارة الرسمية التي تأسست في تاهرت 160 هـ ويورد البكري خبر مفاده أنه كان في مملكة كانم قوم من الأمويين الذين فروا من المحنة العباسية سنة 132هـ[3].

رابعًا- الدعاة وجهودهم في نشر الإسلام:

يتداخل العمل التجاري والدعوى في تاريخ الدعوة للإسلام في السودان الغربي تداخلًا يصعب في العديد من الحالات الفصل بينهما نظرًا لما تحمله تعاليم الإسلام من فرضية ممارسة الدعوة على كل مسلم مهما كانت مكانته، ومهما كان مستواه؛ لذلك تتماشى أدوار التجار والمهاجرين والدعاة في هذه العملية، إلا أنه يمكن تلمّس نقاط تمايز يمكن اعتبارها فروقًا بين هذه

(1) البكري، المصدر السابق، ص 174.

(2) البكري، المصدر نفسه، ص 175، الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية، ص 17 - 18.

(3) السعدي، عبدالرحمن، تاريخ السودان، باريس، طبعة هوداس وبنوه، مطبعة بردين، 1964، ص 3.

الحالات، فالدعاة الذين نشير لهم هم أولئك الذين تفردوا بالعمل الدعوي، وغادروا بلدانهم لغرض واحد فقط، وهو دعوة القبائل الوثنية إلى الإسلام، وهم في الوقت نفسه أولئك المسلمون من الأفارقة المحليين الذين حملوا على عاتقهم رسالة نشر الإسلام بيت القبائل الوثنية وقد كان لهذه الطبقة دور بارز في ترسيم الإسلام في السودان الغربي بداية القرون الأولى لدخول الإسلام إليها، يقول الكاتب الفرنسي بير ديشان الذي كان يشغل منصب حاكم عام للمستعمرات الفرنسية بإفريقيا مُقرًا بهذه الحقيقة: «إن انتشار دعوة الإسلام في أفريقيا لم تقم على القصر، وإنما قامت على الإقناع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولًا ولا طولًا إلا إيمانهم العميق بدينهم، وكثيرًا ما انتشر الإسلام بالتسرب البطيء من قوم إلى قوم فكان إذا ما اعتنقته الطبقة الاستقراطية وهي هدف الدعاة الأول تبعتها بقية القبيلة»[1].

ولم يتوقف الغرب سيل الدعاة من التدفق على مناطق السودان الغربي نظرًا لما كانت تتمتع به الخواطر الإسلامية في السودان العربي كتمبكتو وجني من حراك علمي وثقافي كان يستقطب علماء الشمال من القيروان والقريوبين وتلمسان والأزهر الذين اختاروا هذه المناطق مراكز لإقامتهم مما سهل عليهم الاحتكاك بالملوك والقبائل الوثنية، وكان الهدف الذي من أجله قدموا هذه المناطق هو إدخال السود إلى عقيدتهم عن طريق الدعوة[2].

وقد حضي هؤلاء الدعاة في السودان الغربي بمكانة لدى العامة ترقى إلى درجة الملوك، وقد بلغ إجلال الناس لهم أنه كان لا يتعرض لهم أحد حين ينتقلون بين المناطق سواء منها المسلمة أو الوثنية التي أسسوا فيها مدارسهم

(1) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج 6، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1978، ص 154.

(2) سيلا عبدالقادر محمد، المرجع السابق، ص 64.

التي كان لها الدور الكبير في نشر الإسلام[1].

وكان من الطبيعي أن تتقدم ظاهرة الدعاة في المنطقة إلى القرون الهجرية الأولى نظرًا لقيام الصلات التجارية بين أقطار المغرب الإسلامي ومدن السودان الغربي مما دفع إلى استقرار بعض الدعاة الذين كانوا يتبعون طرق القوافل إلى تلك المدن، مع ما يستلزم ذلك من انتشار العقيدة الإسلامية بين السكان الأصليين[2].

(1) توماس أرنولد، المرجع السابق، ص 392.

(2) الصمدى، محمد، تاريخ العلاقات العربية السودانية، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية، 1998، ص 334.

المصادر والمراجع:

1. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تعليق: طلال حرب، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).
2. ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م.
3. الإدريسي، أبو عبد الله الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، 1994م.
4. الإفريقي، ليون (حسن محمد الوزان)، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1989م.
5. ارنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: إبراهيم حسن إبراهيم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1970 م.
6. البكرى، أبو عبيد، كتاب المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، (د.ط)، (د.ت).
7. بللو، محمد، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق: بهجة الشاذلى، الرباط، دار المعارف الجديد، 1996 م.
8. بولم، دينيس، الحضارات الافريقية، ترجمة: علي شاهين، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1974 م.
9. الدالي، الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1988.
10. الدالي، الهادي المبروك، مملكة مالي الإسلامية، الزاوية، مطابع الوحدة العربية، ط2، 1999 م.
11. دندش، عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، بيروت، ه دار الغرب الإسلامي، 1988م.
12. رياض، زاهر، شمال أفريقيا في العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1981 م.
13. زكى، عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، القاهرة، مطبعة يوسف، 1960 م.
14. سيلا، عبد القادر محمد، المسلمون في السنغال، قطر، سلسلة كتاب الأمة، 1986م.
15. الصمدى، محمد، تاريخ العلاقات المغربية السودانية، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي، بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية، 1998م.

16. الظاهر، حسن عيسي، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني، الرياض، منشورات جامعة الملك محمد بن سعود، الإسلامية، ط1، 1981م.
17. عنان، محمد عبد الله، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، دار العلوم، 1965م.
18. محمود، حسن احمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، القاهرة، دار الفكر العربي، ط3، 1986 م.
19. مؤنس، حسين، المغرب والأندلس، القاهرة، دار الرشيد، 1992م.
20. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، دار الكتاب المصري، 1958م.
21. مؤلف مجهول، الحلل المؤشية في ذكر الأخبار المغرب والأقصى، تونس، دار المنار، 1913م.
22. الناصري، أبو العباس، احمد، الاستقصاء في أخبار المغرب والأقصى، تحقيق: جعفر واحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتب، 1997م.